سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٥٩)

أحكام الاعتكاف

وأعمال العشر الأواخر



لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ



أحكام الاعتكاف

وأعمال العشر الأواخر

00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

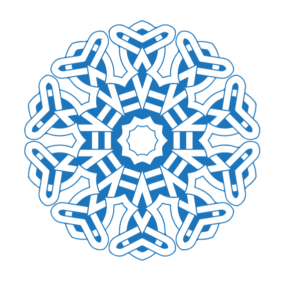
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ
(٥٩)

أحكام الاعتكاف

وأعمال العشر الأواخر



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيها الإخوة الأكارم-؛ فإننا مقبلون على ليلة السادس والعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة السادسة من عشر الأواخر، ولم يبق من شهر رمضان بعدها إلا أربع ليال، وربما دون ذلك، ولذلك فإن المؤمن حري به أن يتغانم ما بقي من وقته، وليعلم المؤمن أن الأعمال بالخواتيم، فإذا ختم للمرء في آخر أيام شهره بحسن كان ذلك الحسن منجرا إلى سائر شهره بالمثوبة من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد تقدم معنا في أوائل درسنا في أول هذه العشر أن المرء إنما ينشغل بالأفضل في هذه الأيام استغلالا لشرف الوقت.

وقد قرر العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أن أفضل ما يشتغل به في هذه الأيام العشر -أعني: عشر ذي الحجة- أربعة أعمال:

۞ أول هذه الأعمال: **لزوم المساجد وكثرة المكث فيها**، ومن لزوم المساجد الاعتكاف فيها كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل في العشر الأواخر.

۞ والعمل الثاني الذي يتأكد في هذه العشر **أن المرء يُعنى بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وقراءته،**

وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد في قراءة القرآن في شهر رمضان، وكان يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها، وفهم من ذلك التابعون ومن بعدهم زيادة قراءة القرآن في الأواخر، حتى إن بعضهم كان يختم في كل يوم ختمة.

۞ العمل الثالث الذي يكون أفضل من غيره من الأعمال وهو **قيام الليل وكثرة الصلاة فيه**، فإن من صلى الليل في هذه العشر الأواخر فإنه مغفور له ذنبه لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

۞ العمل الرابع الذي يتأكد هو الذي سنتحدث عنه في هذا المساء **وهو الدعاء**، فإن للدعاء في رمضان عموما خصيصة، وفي آخره تأكيد أكثر من غيره.

أما في رمضان فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر في كتابه آية عظيمة في إجابة سؤال السائلين فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولذلك فإن هذه الآية أوردها الله عَزَّ وَجَلَّ في ضمن آيات شهر رمضان، فقبلها آي وبعدها آي، فذكر الله عَزَّ وَجَلَّ آية الدعاء بينها، ومن المتقرر في علم أصول الفقه أن القرآن معجز بلفظه، ومعجز بمعناه، ومعجز بنظمه كذلك، فلنظمه وترتيب الآي فيه إعجاز ودلالة بيانية.

فذكر الله عَزَّ وَجَلَّ آية الدعاء بين آيات الصيام يدلنا على الدعاء في رمضان وعند الصيام له تأكيد ومزية لا توجد لغيره، وهذا الذي جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ثبت عنه

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ**»، وذكر من هذه الدعوات الثلاث «**دَعْوَةُ الصَّائِمِ**»، فإن الصائم إذا صام يُرجى أن دعوته تستجاب ولا ترد، وتقبل، وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بالصائمين.

وقد جاء في حديث رواه البيهقي، وقد تفرد به بعض الرواة وأعله الذهبي به، وهو عبدالباقي بن قانع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا دخل رمضان اجتهد في الصلاة والقيام، واجتهد في الدعاء.

وهذا يدلنا على أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر في الدعاء في رمضان ما لا يدعو به في غيره، بل إن من أعظم ما أمر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان الدعاء، ففي حديث سلمان المتقدم عند ابن خزيمة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر قدوم رمضان قال: «**فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَأَمَّا الخَصْلَتَانِ التِي لَا غِنًى لَكُمْ عَنْهُمَا: فَسُؤَالُ اللهِ الجَنَّةِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ النَّارِ**».

إذن: أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإكثار من أربع: ذكر -وهو التهليل-، واستغفار، وسؤال الجنة، وسؤال من النار، وهذه الثلاث الباقية كلها من دعاء الطلب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يدلنا أيها الإخوة على أمرين:

- **الأمر الأول**: أهمية الدعاء في شهر رمضان.
- **والأمر الثاني**: أهمية الدعاء بجوامع الكلم، فإن جوامع الكلم له خصوصية، ولذا أمر

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعاء بهذه الكلمات الثلاث على سبيل الخصوص.

ولذا فإن الدعاء أمره عجيب في السنة كلها، وفي رمضان بالتأكيد، وفي آخر رمضان يزداد التأكيد تأكيدا.

فقد ثبت أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كان إذا جاء النصف الأخير من رمضان قنتوا ودعوا، مما يدل على أن الدعاء في النصف الأخير آكد منه في النصف الأول من شهر رمضان، بل إن أفضل عبادة تُفعل لمن أدرك ليلة القدر **أن يكثر من الدعاء**.

ثبت عند أهل السنن من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ أَدْرَكْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَاذَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

ولذا لما نقلت هذه الأحاديث لفقهاء هذه الأمة قال بعضهم -وهو سفيان بن سعيد الثوري-: «إن الدعاء في ليلة القدر أفضل من الصلاة فيه»، قال بعض المحققين: «مراده بذلك؛ أي: إن الصلاة التي فيها دعاء وطلب خير من سرد الصلاة بلا دعاء ولا طلب»؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى أن تدعو الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الليلة المباركة بهذا الدعاء، فدل على فضل جنس الدعاء عموما، وعلى فضل هذا الدعاء بالخصوص.

❁ ولذا أيها الموفق؛ سيكون حديثنا في هذه اليوم أو في هذا المساء بعد هذه المقدمة المؤكِّدة على أهمية الدعاء في رمضان عموما، وفي آخره خصوصا، وفي ليلة القدر بالتعيين، سيكون حديثنا فيه في نقاط منطلقا من حديث نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **أول مسألة معنا** وهو ما يتعلق بهذا الدعاء الذي علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمها أن تقول: اللهم إنك عفو -احفظ الدعاء فإني سأجعل بعضا من الحاضرين يقوله بعد قريب- تحب العفو فاعف عني.

ما هو الدعاء؟ اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، ما هو الدعاء؟

هذا الدعاء احفظه؛ لأنه أفضل دعاء يقال في ليلة القدر وليلة القدر ترجى في هذه الليالي العشر، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا ممن أدركها.

هذا الدعاء دعاء عظيم، فيه توسل بأمرين وطلب لأمر:

◊ **الأمر الأول**: التوسل باسم عظيم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ: اللهم إنك عفو.

المؤمن إذا أراد أن يتوسل فإنه يتوسل بأسماء الله أو أفعاله سبحانه، أو بعمل صالح يتقرب به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، اللهم إنك عفو، تتوسل إلى الله جَلَّ وَعَلَا باسمه، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَائِةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، قالوا: «معنى إحصائها: أن يعرف معناها، وأن يدعو الله بها»، وفي هذا الحديث دلالة على أن من أراد أن يدعو بطلب فليختر من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ ما يناسب ذلك الطلب، من أراد أن يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ بالعفو والمغفرة فيسأل الله باسم العفو الغفور، من أراد أن يرزقه الله مالا فليسأل الله عَزَّ وَجَلَّ باسم الرزاق، من أراد مثل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو الله بولد فليسأل الله عَزَّ وَجَلَّ باسم الوهاب كما دعا بذلك زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، من أراد أن يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ شفاء من مرض وجبرا من كسر فليسأل الله عَزَّ وَجَلَّ باسم الرحمة، وهكذا من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، اسأل الله

عَزَّوَجَلَّ بما يناسب طلبك.

حتى إن بعضا من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى قالوا: «إن الاسم الأعظم ليس اسما واحدا، وإنما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب يختلف باختلاف المسؤول»، ولذا فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرة جعل الحي القيوم الاسم الأعظم لله، ومرة جعل ذا الجلال والإكرام الاسم الأعظم لله عَزَّوَجَلَّ، ومرة عد غيره، وهذا قول وجيه لبعض أهل العلم، والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ من غير قطع.

إذن: اسأل الله عَزَّوَجَلَّ بالاسم الذي يناسب طلبك، فهذا من أنسب وأحرى الأسباب لإجابة الدعاء.

◈ **الأمر الثاني**: إذا سألت الله باسم فتفكر في معنى هذا الاسم، وهذا معنى ذكر القلب، أن تتفكر في معنى هذا الاسم، عندما سمى الله عَزَّوَجَلَّ نفسه باسم العفو **معنى العفو**: قيل الذي لا يعذب على الذنب فيعفو عن أثره؛ **أي**: يمحو الأثر المترتب على الذنب، فحينئذ إذا أذنب العبد ذنبا لم يعذبه الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وإن من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ على الذنب العذاب في الدنيا، فإن أقواما تعجل لهم عقوبتهم في الدنيا ربما رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ لكي لا يعذبوا في الآخرة، وإن من عذاب الذنب الذي يعفوه الله عَزَّوَجَلَّ مناقشة الحساب، وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مِنْ نُوقِشَ الحِسَابَ فَقَدْ هَلَكَ**».

إذن: العذاب ليس مجرد النار وهو أشد العذاب، وإنما للذنب شؤما، حتى إن الصالحين من أهل العلم والزهاد الوراع ليعلمون أثر شؤم المعصية في دابة المرء وزوجه، قال بعض السلف: «إني لأذنب الذنب فأرى شؤمه في سوء خلق زوجتي، وفي تغير دابتي

علي»، أولئك أقوام قلت ذنوبهم فعرفوها، ونحن أقوام كثرت ذنوبنا فلم نستطع أن نعد كبائرها، ناهيك عن عدها جميعها.

إذن: الذنب له شؤم، وأنت إذا قلت: يا عفو، تذكر أن الله يعفو عن جميع أثر الذنوب فلا يعاقب عليه، ولا يأتي بشؤم من شؤمه، وهذا من عفوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقيل: إن معنى العفو الذي يعفو الذنب كله كما تعفو الريح أثر المسير، فلا يبقى في الصحائف التي كتبت فيها حسنات وسيئات العبد، يكتب فيها شيء من ذنبه، وذلك فضل عظيم، ولذا فإن من الذين يدخلون الجنة سبعون ألفا يدخلونها بغير حساب ولا عذاب.

الذين يحاسبون نوعان:

✫ **الكفار**: يناقشون حسابهم، وذاك من أشد العذاب، ولذلك قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ**».

✫ **وأما المؤمنون والمسلمون** فإنهم لا يناقشون، وإنما يقررون: فعلت، فعلت، فعلت، ولا يناقش لم.

والأمر في كلا الأمرين يدل على بقاء الذنب، وأنه محسوب عليه يوم القيامة ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ محو ذنوبا لآخرين، يمحوها فلا يبقى لها أثر، وذلك عفو الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذا جاء في الأثر أن رجلا رأى سيئاته أو يرى سيئاته يوم القيامة عظيمة كبيرة كأمثال

جبال تهامة، ومن رأى جبال تهامة عجب من عظم شـأنها، انظر إلى وسـط الجبال في تهامة، وأنظر إلى جبالها وعظمها وطولها ترى أمرا عجيبا، فيراها كأمثال جبال تهامة، فيقال له: «**هَذِهِ سَيِّئَاتُكَ قُلِبَتْ لَكَ حَسَنَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وذلك عفو الله عَزَّوَجَلَّ.

إذن: عفوه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عظيم.

«**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ**» هذا توسـل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بفعله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن من أفعاله جَلَّوَعَلَا أنه يحب العفو، من كرمه جَلَّوَعَلَا أنه يحب أن يعفو عنك، فأْتِ بالسـبب، وابذل الطريق الذي يكون سببا لعفو الله عَزَّوَجَلَّ عنك، ادع، تب، استغفر، صـل، قم، صـم، كل ذلك من أسباب عفو الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذلك فإن الله عَزَّوَجَلَّ يفرح بتوبة العبد فرحا شـديدا، حتى إنه يكون أشـد من فرح الرجل الذي يضـل ناقته في الفلاة وعليها طعامه وشـرابه، حتى إذا ظن هلاكه أوى إلى ظل شجرة، فتوسد يده ورقد عليها، ثم لما قام وهو ظان الهلاك غير مستيقن النجاة، فإذا بدابته وعليها طعامه وشرابه فوق رأسه، فيأخذ بزمامها، ويقول من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، يخطئ من شدة الفرح، الله أشد فرحا من ذلك العبد بتلك الدابة التي وجدها.

متى؟ إذا تاب عبده الله يفرح بتوبتك، الله يحب توبتك، الله يحب إنابتك، الله يحب العفو عنك، لكن أنت السبب.

فَنَفْسَـكَ لُمْ وَلَا تَلُمِ الْمَطَايَا وَمُتْ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اِعْتِبَارُ

إذا لم تتب، إذا لم تستغفر، إذا لم تحسن، كيف ترجو أن الله عَزَّوَجَلَّ يحسن إليك وأنت

الظالم لنفسك؟!

من ظلم نفسه فإن الله عَزَّوَجَلَّ إنما يجازيه بعدله، ولكن من أحسن إلى الله، وألقى ركابه عند الله عَزَّوَجَلَّ وهو في بيت من بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، يمد يديه: يا رب إنك عفو تحب العفو فاعف عني، يا رب إنك عفو تحب العفو فاعف عني، ذاك الذي يرجى دعاءه.

ولذلك أيها الموفق جاء في حديث عند الترمذي وغيره أن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ الدُّعَاءِ**».

الله عَزَّوَجَلَّ يحب الدعاء، الله يحب أن تدعوه، الله عَزَّوَجَلَّ يحب أن تمد يديك إليه جَلَّوَعَلَا، ولذا فإن دعاءك له جَلَّوَعَلَا عبادة وإن لم يستجب دعاؤك.

ثبت عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**مَا مِنْ اِمْرِئ يَسْأَلُ سُؤَالاً إِلَا إمَا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ طَلَبُهُ، وَإِمَّا أَنْ يُصْرَفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ بِقَدْرِ مَا دَعَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمِ أَوْ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ**»، هذا الحديث يدلنا على أمرين:

◊ **الأمر الأول**: أن المؤمن يتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء، ليس الغرض فقط إجابة الدعاء، نعم؛ هو غرض، لكن هناك أغراضا أخرى، أنت تتعبد الله عَزَّوَجَلَّ تؤجر على الدعاء ولو لم يستجب دعاؤك، لو لم يستجب الدعاء تؤجر على هذا الدعاء.

ولذلك ثبت عنه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، وهذا يدلنا على الحصر؛ لأنه قدم المعمول على العامل، لأن أصل الجملة: العبادة هي الدعاء، فلما قدم المعمول على العامل دلنا على الحصر، وهذا يدلنا على فائدة: أن من أعظم القربات التي يجب

إفرادها الله عَزَّوَجَلَّ وهو **الدعاء** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢].

كيف يكون امرؤ صادق في دعائه الله عَزَّوَجَلَّ وهو مرة يدعو الله ومرة يدعو غيره؟!

كيف مرة يقول: يا الله اغفر لي، ومرة يقول: يا زيد، يا عمر اغفر لي، مرة يقول: يا الله ارزقني، ومرة يقول: يا محمد، يا إبراهيم، يا فلان، ارزقني ولدا؟

أهذا صادق في دعائه مع الله عَزَّوَجَلَّ؟، أهذا جعل العبادة الله عَزَّوَجَلَّ؟

أهذا امتثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢]؟

لذا الدعاء لله، لا يدعى إلا الله، لا تمد يديك إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كلما كمل تعلقك بالله كلما كان أحرى بإجابة دعائك بأمر عَزَّوَجَلَّ.

إذن: الأمر الأول الدعاء هو العبادة.

ولذا من فُتح له هذا الباب -باب الدعاء- فهو المغبون، هو الذي حقيقة يُحسد على هذا الباب، يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -ضجيع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجانب قبره- يقول: «إني لا أحمل هم إجابة الدعاء، ولكني أحمل الدعاء نفسه».

كثير من الناس يستثقلون الدعاء والطلب، ولذلك تجده إذا مد يديه يمدها دقيقة أو دقيقتين، ثم يسهو ويغفل وينسى، ويكون الدعاء على قلبه ثقيلا، بالدربة اجعل الدعاء على قلبك سهلا، وعلى لسانك ميسورا.

إن من نعم الله عَزَّوَجَلَّ على البعض أو على بعض أن الله عَزَّوَجَلَّ يجعل لهم أسبابا ليدعوه فيفتح لهم الفتوح.

قال ابن مفلح: «قال بعض العارفين: إنه لتكون لي الحاجة، فألح على الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء، حتى إني لأود ألا تستجاب دعوتي، وألا تقضى حاجتي لما أجده من الأنس بالله عَزَّوَجَلَّ، وما أجده من القرب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

ما من أنس هو أعظم من أنسك بربك جَلَّ وَعَلَا عندما تدعوه وتناديه وتناجيه وترجوه، فعند ذلك تجد أنسا لا تجده مع غيره، تشكو إليه بثك، وتسأله طلبك، وتستعيذ به مما تخاف وتحزن، ألم يقل الشاعر:

وَلَابُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ   يُوَاسِيكَ أَوْ يُسَلِّيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

من بث شكواه ونجواه ودعاءه لله رب العالمين والله ليجدن في قلبه راحة، وليجدن في قلبه أنسا لا يجده مع أي شكوى يبثها لغيره جَلَّ وَعَلَا.

اسمع قول الله عَزَّوَجَلَّ على لسان نبي من أنبيائه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، فالمرء يشكو بثه وحزنه، ويلقي ركابه عند الله عَزَّوَجَلَّ، ذاك أنس عظيم، ناهيك عن أجره، ناهيك عن طلبه وإعطائه طلبه، ناهيك أنه يكف عنه من السوء ما يعادل طلبه لكن بشرط؛ وهذه هي المسألة الثانية، حينما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ**».

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما ذكر أمرين: الإثم، وقطيعة الرحم، **قيل**: إنه من عطف

الخاص على العام، فإن الإثم صوره كثيرة، ومن صوره قطيعة الرحم، فخصها النبي صلى الله عليه وسلم لتأكيدها.

وهذا يدلنا على أن من أخطر الدعوات أن تدعو على قريبك، إياك إياك أن تدعو على ابنك، وقد جاء الحديث في النهي عنه، إن بعض الآباء والأمهات إذا أخطأ أبناؤهم أو فعلوا شيئا ما أسرع ما يدعو عليهم، وما يدري أولئك الآباء والأمهات أنه لربما كانت تلك الدعوة موافقة لباب إجابة وحال إجابة فينضر الابن بتلك الدعوة.

إياك إياك أن تدعو على قريبك، أخيك، أو ابن عمك، أو صهرك، ونحو ذلك من القرابات؛ لأن الدعاء على القرابة قطيعة رحم، وقطيعة الرحم كبيرة.

وقد قال العلماء: «إن صلة الرحم لها حدود يجب الإتيان بها جميعا:

❁ **أولها**: السلام، لما جاء في حديث احتج به أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**صِلُوا – وَفِي لَفْظِ: بَلْوَا – أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ**»، (ولو): للتقليل، فدل على أن السلام يجب إفشاؤه بين القرابات.

❁ **الثاني**: أنه تجب النفقة للقرابة إذ كان محتاجا، سواء كان فرعا أو أصلا أو من القرابات التي تجب النفقة عليهم.

❁ **الثالث**: كف الأذى، وأعظم الأذى اللسان، الذي يسب قرابته ويذكرهم في الغيبة بالسوء صدقا كان أو كذبا هذا ليس بواصل للرحم، بل هو قاطع الرحم.

❁ **الرابع**: الدعاء لهم، ولذا فإن من يدعو على رحمه فإنه يكون قاطعا الرحم، قاله

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي ذكرته لكم، والذي يدعو لهم يكون واصلا.

جاء عند ابن ماجة من حديث أبي ذر أن أبا ذر أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إنه يكون بيني وبين قرابتي ما يكون من اللسان وما يكون من الأمور، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ الاسْتِغْفَارِ لَهُمْ؟**»، هذا يدلنا على أن الدعاء للقرابة من الصلة.

كما أن الدعاء لهم سبب في المحبة، فكل من دعا لامرئ أحبه، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ وُلَاتِكُمْ الَّذِينَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ**»؛ أي: تدعون لهم ويدعون لكم، «**وَتُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ**»، ومن دلالة الاقتران أن الدعاء سبب للمحبة، والأدلة على ذلك كثيرة.

المقصود: أن المعنى الأول في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ**»، أنه من عطف الخاص على العام، وقيل: إن هذين الأمرين اللذين ذكرهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هما إشارة لنوعي الاعتداء، وانتبه معي! فإن الاعتداء في الدعاء محرم، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧﴾ [المائدة: ٨٧].

جاء عن بعض الصحابة أنهم قالوا الاعتداء في كل شيء حتى في الدعاء، أظنه قالها ابن عباس، وجاء في حديث عبدالله بن مغفل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ**»، وصدق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صدق حبيبنا وسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما أكثر اعتداء الناس في الدعاء الآن.

استمع لهذه الأدعية التي تخرج في التلفاز، وفي بعض القنوات، الإنترنت وغيره، ترى اعتداء غريبا، ترى أمورا منهيا عنها شرعا، وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث

إشـــارة لنوعي الاعتداء، إذ ذكر العلماء أن الاعتداء في الدعاء الذي يكون ســببا في عدم إجابته، بل ويكون ســببا في الإثم بدل الأجر، أنت تريد أجرا، ومع ذلك تكســب إثما إذا اعتديت في الدعاء، قالوا: الاعتداء في الدعاء نوعان:

✯ **اعتداء في الطلب**: وهو قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ**».

✯ **واعتداء في المطلوب**: وهو قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوْ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ**».

إذن: **الاعتداء كم**؟ أخونا أبو طاقية بنية الاعتداء اثنان أم اثنين؟ الاعتداء اثنان أو نوعان: اعتداء في الطلب.

والنوع الثاني أخونا الذي بجانبه في جيبه جوال، أنت الاعتداء الثاني ما هو؟ طيب من يعرف الاعتداء الثاني؟ من القريبين؟ نعم، الاعتداء في؟ لا؛ الذي القاعدة الكلية، نعم في المطلوب.

إذن: الاعتداء نوعان: **اعتداء في الطلب، واعتداء في المطلوب**.

✯ **الاعتداء في الطلب**: هو الصــيغة والهيئة التي تدعو بها بغض النظر عما تطلبه وترجوه.

✯ **والاعتداء في المطلوب**: هو الشيء الذي تدعو به وتطلبه.

نبدأ في الاعتداء في الطلب، الاعتداء في الطلب أول صــيغة في الاعتداء في الطلب أن تدعو بتفاصــيل الأمور، إذ الأصــل أن تدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالمجملات، ولا تدعو بالتفاصــيل الدقيقة، ولذلك جاء أن أحد الصحابة سمع ابنه وهو يدعو –ربما ابنه سمع حديثا من أخبار

بني إسرائيل أو من غيرها لا أعلم- فسمع ابنه وهو يقول: اللهم إني أسألك البيت الأبيض على يمين الداخل في الجنة، فقال له أبوه: احذر؛ إياك؛ اسأل الله عَزَّوَجَلَّ الفردوس الأعلى، هذا إجمال في الطلب ادعو الله بالشيء المجمل، إني سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «سَيَأْتِي أَقْوَامٌ يَعْتَدُونَ فِي دُعَائِهِمْ».

بعض الناس إذا أراد أن يدعو فلنقل يريد أن يدعو بمال، يقول: اللهم ارزقني مالا قدره كذا، اللهم ارزقني بيتا هيئته كذا، اللهم ارزقني زوجة صفتها كذا، طولها كذا، وشعرها كذا، وعرضها كذا، كل هذا لا يجوز هذا من الاعتداء، اسأل الله عَزَّوَجَلَّ الزوجة الصالحة ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ هذا دعاء احفظه، احفظه، وهو من أعظم الدعاء؛ لأنه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ - ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٖ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

اسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يختار لك الأتم والأصلح، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أعلم بك من نفسك، ولو وكل الاختيار لك في كل أمرك لاخترت الأسوء مما قضى الله عَزَّوَجَلَّ لك، لذا روى عبدالله بن وهب عن بعض السلف أنه قال: «لو كُشف القدر لحُمد المقدور».

لو أن المرء أراد أن يخطط لنفسه في دراسته وربحه وتجارته وصحته وسقمه وغير ذلك لكان ما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ خير مما أراد لنفسه، وأيم الله؛ لأن الله أرحم بالعبد من نفسه.

إذن: **النوع الأول**: لا تسأل دقائق الأمور، اسأل الله المجمل، اسأل الله الكل: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار.

ولذلك نهى العلماء أن المرء يسأل في صلاته فيقول: اللهم إني أسألك دابة هملاجة،

وزوجة حسناء؛ لأن هذا تفاصيل، وليس من المناسب في الصلاة أن تدعو بهذه التفاصيل، وإنما اسأل الله عَزَّوَجَلَّ الخيرة في أمرك كله، واسأله الرزق الحسن الواسع، واسأله العلم النافع، واسأله هكذا من الأمور التي فيها من جوامع الكلم.

الأمر الثاني الذي يكون فيه الاعتداء بالطلب-والاعتداء في الطلب متعدد-: الاعتناء باللفظ دون المعنى، ولذلك جاء عن بعض السلف وهو ابن عباس أنه ذكر أن الاعتداء أن يكون سجعا كسجع الكهان.

إن بعض الناس يظن أن لا دعاء إلا مختوما بسجع، فلا بد أن يكون مختوما بسجع، حتى يأتي بكلام لربما كان اعتداء في ذات الطلب والمطلوب كذلك، تسمع أمورا كثيرة وعجائب غريبة، أناس تعطيهم جوامع الكلم من الدعاء الذي جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وعن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلا تجده يقبل إليه، ويذهب إلى سجع وآخر خارج عنه.

ولذلك كان أيوب السختياني شيخ الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى كان إماما في محراب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويصلي بالناس في المدينة، فكان إذا قنت لا يدعو إلا بدعاء من القرآن، وأدعية القرآن كثيرة.

ولذا فإن أعظم دعاء تدعو به دعاء تحفظه ورد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو دعاء جاء عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو دعاء ورد وإن لم يكن إسناده صحيح لكنه معناه وارد، هو أولى من أن تجتهد في معنا كذلك.

ولذلك كان أبو عمر أخو الشيخ أبي محمد الموفق لا يرد إليه حديث ورد ما لم يكن

منكرا أو فيه معنى غير مقبول إلا دعا به.

فالمقصود: أن الأحاديث الواردة عن الصحابة وغيرهم ادعو بها فهي أرجى للإجابة، وهذا من عدم الاعتداء بالدعاء.

أسمع بعض الناس يقول -ورأيته في كتاب معه هنا في الحرم- يقول: بالألف أسأل الله الرحمة، وبالباء برحمته كذا، ويسأل بالباء والتاء، هذه أصبحت حروف هجاء، تعليم الحروف، ولم يصبح دعاء، الدعاء فيه استحضار للقلب وللمعاني، لا تنظر للألفاظ.

الاعتداء في المطلوب ما هو؟ الاعتداء في المطلوب أن تدعو بإثم، إياك أن تدعو بإثم، لا تدع على قريب، لا تدع على شخص ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، لا تدع على أحد من غير سبب، وإذا دعوت عليه فادع عليه بأقل قدر، فلا تزد بالدعاء.

ولذلك فإن توكلك على الله عَزَّوَجَلَّ في من خفت منه كافيك عن الدعاء، فإذا قلت: حسبي الله ونعم الوكيل ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، إذا قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، كفيت، فقد استعنت بثلاثة أسماء لله عَزَّوَجَلَّ: الحسيب، ولفظ الله عَزَّوَجَلَّ، والوكيل، فاستعنت بثلاثة أسماء، فإن الله كافيك عدوك بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وإن لم تطلب شيئا؛ لأن من شُغل بذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن مسألته كفاه الله سؤله.

✯ من الاعتداء في الهيئة أن ترفع اليدين في موضع لا تُرفع فيهما اليدين، رفع اليدين سنة في الدعاء، ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ يَمُدُّ يَدَيْهِ ثُمَّ يَرُدُّهُمَا صِفْرًا**»، فرفع اليدين بالدعاء سبب لإجابة الدعاء.

لكن هناك مواضع لم يرفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه فيها، فدل على أنه لا يشرع رفع اليدين فيها:

◈ منها ما فهمه الصحابة كغضيف الذماري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره أنه لا يرفع الخطيب يديه في الدعاء حال الخطبة إلا في الاستسقاء، لحديث أنس، وما عدا ذلك فلا ترفع اليدين، والمأمومون تبع لإمامهم، فلا يرفعون أيديهم تبعا له، وقد ثبت من حديث غضيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه لما رأى الإمام يرفع يديه في الدعاء قال: «بدعة بدعة».

من الذي قال بدعة؟ ليس زيدا، ولا عمرا، ولا مالكا، ولا أحمد، ولا الشافعي، ولا أبا حنيفة، وإنما قاله صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن: هذا الموضع الأول.

◈ **الموضع الثاني**: عندما تنفتل من صلاة الفريضة، فإنه قد ثبت من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عوف وعائشة وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا انفتن من صلاة الفريضة يقول: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».

فالسنة لمن انفتن في الفريضة أن يدعو بهذا الدعاء وما بعده مما ورد عن النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يرفع يديه بدعاء الطلب إلا بعد ذلك، ولا يرفعه مباشـرة، فإن أتى بالأوراد ثم رفع يديه جاز له ذلك، وأما الأول فلم يفعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنافلة يجوز أن ترفع يديك؛ لأن هذا الاستغفار إنما يقال بعد الفريضة، ولا يقال بعد النافلة، فلو صليت نافلة كالسنن الرواتب وغيرها ثم رفعت يديك جاز.

إذن: رفع اليدين سبب لإجابة الدعاء، ولكن رفع اليدين يتأكد في مواضع كعلى الصفا والمروة، ويمنع في مواضع كالموضعين الذين ذكرت لك، ويستحب في مواضع، ومنها مطلق الدعاء الذي تدعو به.

وهنا مسألة قبل أن أنتقل إلى المسألة التي بعدها وهو:

كيف يكون رفع اليدين في الدعاء؟

قال أهل العلم: إن رفع اليدين في الدعاء له ثلاث هيئات:

❖ **الهيئة الأولى**: وهي أقلها، وهو ما ثبت عند أبي داوود من حديث ابن عباس، أن تشير بأصبعك، فإذا دعوت تشير بالأصبع، ومثله يفعله الخطيب، فتقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم تجاوز عني، فتشير بالأصبع إشارة، ولذلك فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ثبت من حديث عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر كان في التشـهد يشـير بأصـبعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والإصبع يصح فيه كسر الهمز وفتحه، بل قيل إن فيه عشر لغات، هذه فائدة لغوية على الهامش.

المقصود من هذا أن الإشارة بالأصبع عند الدعاء مشروعة، وقد ذكرت لك الحديث حديث ابن عباس، ولكن المنهي أن تشير باثنين كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما أشر بواحد فإن الله عَزَّوَجَلَّ واحد فتشير بواحد: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، هكذا تشير، اللهم تجاوز عني، اللهم اغفر لوالدي، اللهم اقض الدين عني، اللهم اشف مريضي، وهكذا.

۞ **الصفة الثانية**: وهو دعاء الطلب، ولدعاء الطلب صفتان واردتان عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جاء في حديث ابن عباس عند ابن أبي شيبة وغيره أن دعاء الطلب أن يكون حذو المنكبين.

تعرفون المنكبين؟ هذان هما المنكبان، فتكون اليدان حذو المنكبين، ولجعل اليدين -أنا خلعت العباءة لأشرح لكم- ولجعل اليدين حذو المنكبين صفتين:

✯ **الصفة الأولى**: أن تجعل بطون الأكف قِبل وجهك وقِبل السماء تفاؤلا بنزول الدعاء، فتقول: يا رب، يا رب، يا رب، هكذا هذه الصفة الأولى، فيداك حذو منكبيك، ولو نقصت قليلا لا مانع، والأمر الثاني بطونهما إلى السماء تفاؤلا باستجابة الدعاء، وإلى وجهك؛ لأن السنة أن تنظر بعينيك إلى كفيك.

✯ **الصورة الثانية** من رفع اليدين في الطلب أن تجعل اليدين حذو المنكبين وبطونهما إلى الوجه، وأطراف الأصابع إلى السماء، كيف -قبل أن أجرب-؟

أحسنت، هكذا: يا رب، يا رب، ليس قبل الوجه، حذو المنكبين، يا رب، يا رب، يا

رب، يا رب، وتنظر إلى كفيك، يا رب، يا رب، يا رب، يا رب، هذه الصفة الثانية.

إذن: قلنا **الطريقة الأولى**: الإشارة.

✰ **الطريقة الثانية**: دعاء الطلب ولها صفتان.

✰ **الطريقة الثالثة** الواردة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء الابتهال، ودعاء الابتهال هذا يكون عند الشدة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بالابتهال في الاستسقاء، ودعا به عندما كان في غزوة بدر، وقال: «**اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ لَا تُعْبَدُ أَبَدًا**».

دعاء الابتهال أن تجعل يديك فوق رأسك، ولذلك لما دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سقط رداؤه من على منكبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأخذ هذا الرداء، وجعله على منكبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ لا يخزيك الله أبدا» وصدق.

المقصود: أن من دعا الله عَزَّ وَجَلَّ وصدق مع الله عَزَّ وَجَلَّ فلن يخزيه الله عَزَّ وَجَلَّ أبدا.

إذن: دعاء الابتهال أن تجعل يديك فوق رأسك، وقد جاء أن دعاء الابتهال:

✰ **إن كان طلبا** فببطون الأكف.

✰ **وإن كان رهبة**؛ -**أي:** خائفا من قوم- فبظهور الأكف، كما جاء عن جعفر الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورحمه.

قالوا ومعنى كونه ببطون الأكف إذا كان ابتهالا أن تمد يديك فوق رأسك وتجعل

بطونهما إلى السماء فتدعو يا رب، يا رب، وإذا كنت خائفا من قوم فتجعل ظهورهما إلى السماء هكذا وهما فوق رأسك فتقول: يا رب، يا رب.

لكن صفة الابتهال قال العلماء هي مكروهة في الصلاة، لا تفعلها في الصلاة؛ لأن الصلاة السنة أن تجعل نظرك عند كفيك، وألا ترفع بصرك إلى السماء، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا يَخْشَى الذِي يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ يَقْلِبَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ**».

قبل أن أختم درس اليوم ذكرت لكم قبل قليل خمس هيئات من هيئات رفع اليدين بالدعاء نبدأ بأولها من أخينا الأول خل نبدأ، أجب سؤالي ثم أجيب سؤالك: أول الهيئات ماذا؟ في حديث ابن عباس؟

- وهو الإشارة بالأصبع.
- الثانية من يعرفها؟ أريد شخصا لم يجب قبله نعم أجبت؟ الثانية ما هي؟
- أن يجعل يديه حذو المنكبين وبطونهما أين؟
- إلى وجهه وإلى السماء، بطونهما إلى السماء وإلى وجهه معا هكذا. الهيئة الثالثة: أن تكون اليدان حذو منكبيه وقبل وجهه هكذا، طبعا إنسان في الصلاة مأمور بأن يغض بصره، فيجعل غض بصره يعني ليس مرتفعا؛ لأن البصر في الصلاة له أربع هيئات، أنا المشكلة أنسى لكن أذكرها بعد الدعاء طيب.

إذن: هذا الموضع إيش؟ الثاني أو الثالث؟ الثالث، الرابع من يأتيني من الشق الأيسر؟ أخونا أن يجعل يديه فوق رأسه وبطونهما إلى السماء يا رب، يا رب، يا رب، هكذا

فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستسقاء وهو صيغة الابتهال.

◊ الخامسة والأخيرة أخونا يا رب ابتهال إذا خفت شيئا كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متى فعلها؟ يوم بدر، وقد ذكر جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وهو من السلف الصالحين قال: «دعاء الرغبة ببطون الأكف، ودعاء الرهبة بظهورها».

لماذا ذكرت ذلك؟؛ لأن بعض الناس يفهم خطأ، فيسمع قول الفقهاء أن الدعاء بظهور الأكف فرأيت بعض الناس يدعو هكذا أو يفهم هكذا، وهذا الفهم فهم قبل ولكنه غير صحيح، وقد أنكره أهل العلم فلا يفهم ذلك.

عرفنا الآن ما يتعلق بالاعتداء في الدعاء.

ولذلك -أيها الموفق-؛ ونحن في العشر الأواخر، وفي ليلة يرجى أن تكون من الليالي الفاضلة، ويرجى أن تكون من عشر ذي الحجة، وقد مر معنا في أول درس أن العشر الأواخر كلها فاضلة، لا لكونها فيها ليلة القدر فحسب، بل كلها فاضلة، وإحدى هاته الليال تفضل الباقي لكونها ليلة القدر، فكل العشر الأواخر فاضلة؛ لأني رأيت بعض الناس يتوقع أن ليلة القدر ليلة ما، ثم بعد ذلك يزهد في العشر الأواخر، هذا المسكين ضيع على نفسه خيرا عظيما.

إذن: اجتهد في العشر الأواخر في الدعاء، وخاصة في الليلة التي يرجى ليلة القدر أن تدعو فيها بسائر الدعاء، وأفضل الدعاء: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني).

وهذا معنى قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «**فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ**

بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنًى لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالِاسْتِغْفَارُ»، أكثر من الاستغفار، لقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الاستغفار، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً»، يقول ابن عمر: كنا نعد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد يستغفر الله عَزَّ وَجَلَّ أكثر من سبعين مرة، ولذلك جاء عن أبي بكر عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما نقل ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ»، فكلما عظم ذنب المرء احتاج للاستغفار أكثر، ونحن أحوج الناس للاستغفار.

وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يكتب للأنصار في آخر رمضان: «اختموا رمضان بالاستغفار».

إذن: أكثر في هذه الأيام في الاستغفار، لم؟

❁ **أولا:** لكيلا تعجب بعملك، كثير من الناس إنما ينقص أجرهم وربما أُحبط عملهم بسبب إعجابهم بعملهم، رجل تجده لم يقم الليل أبدا، ولم يعتكف أبدا، ولم يقرأ القرآن كثيرا، فلما جاءت العشر اعتكف وصلى، وفتح الله عَزَّ وَجَلَّ عليه خيرا، فيدخل عليه الشيطان من مدخل خفي سيء، يكون منقصا للأجر أو ممحقا وهو: الإعجاب بالنفس، يُعجب، فعلت ما لم يفعله زيد ولا عمرو، فعلت ما لم يفعله أهل بلدي جميعا، فظن أنه أكمل الناس، فيُعجب بنفسه إعجابا كثيرا، لكن إذا قال: أستغفر الله، ليس بلسانه وإنما بقلبه، تذكرَ أنه لابد في عمله من نقص، وأنه مهما أحسن فإن له نقصا قبل، ونقصا بعد، ونقصا

أثناء العمل، كل عمل صالح يختم بالاستغفار.

ألم يكن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الصلوات الفريضة -وهي فريضة- إذا انفتل منها قال: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ»؟ لذا فهم السلف كعمر وغيره أنه يختم شهر رمضان بالاستغفار.

❁ ولذلك في هذه الأيام استغفر الله لأسباب منها:

۞ لكيلا تُعجب بنفسك، فإنك لا تدري ما يختم لك «**إِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلهَا**».

إن من الناس من اجتهد أكثر من اجتهادك، صلى أكثر من صلاتك، حفظ أكثر مما تحفظ، أوتي من العلم -كرجل بني إسرائيل- أكثر مما أوتيت، أوتي من العبادة أكثر مما أوتيت، لكن لم يربط الله على قلبه، لم يدع بقول الله عَزَّوَجَلَّ: اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي، اللهم يا مقلب القلوب والأبصار قلب قلبي على طاعتك.

إذن: الثبات على الدين مهم، لا تُعجب بعبادتك، لا تغتر بنفسك، من اغتر بنفسه وبعبادته فقد هلك، أكثر من الاستغفار في رمضان، الذي يستغفر حقيقة بقلبه هو الذي يعلم نقص عمله، ربما كان عمل قليل مع يقين بالله وتقالٍ له أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من عمل كثير بإعجاب به، لا تدري من المقبول، ما تدري من المقبول، لا تدري من الذي تضاعف له الحسنات، ومن الذي لا تضاعف، فإن الله يضاعف الحسنة إلى سبع مائة ضعف، وآخر لا

يضاعف له، بما وقر في القلب.

إذن: -أيها الموفق-؛ من أعظم ما تفعله في هذه الأيام مع الدعاء مراجعة قلبك، هذا القلب راجعه، هذا القلب صفِّه، هذا القلب ادرأ عنه كل فعل مشين، سواء كان:

✫ **متعلقا بالله**: فلا تتوكل ولا تدعو ولا ترجو ولا تستعن إلا به.

✫ **أو متعلقا بالخلق**: فلا تحقد ولا تغل على أحد من خلق الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن حقدك على الخلق هو نقص بإيمانك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنك إذا علمت أن الله الرزاق، وأنه الذي يوزع الأرزاق، لم تحسد أحدا على رزقه.

هذا هو كمال الإيمان.

ولذلك سلامة الصدر متعلقة بالدعاء، ما دعا أحد دعاء إلا كان صدره سليما، أكثر الناس سلامة للصدر مكثر الدعاء باللسان والقلب، وأنا أكرر: القلب؛ لأن بعض الناس يلهج بالدعاء صبحا وعشيا، لكن قلبه ليس داعٍ وإنما هو لاهٍ.

من دعا كثيرا أقبل قلبه على الله، من دعا كثيرا أصبح قلبه سليما إلى الناس، وذكرت لكم الحديث قبل قليل.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمن علينا بالهدى والتقى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات.

وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يرحم ضعفنا، وأن يجبر كسرنا، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور قلوبنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، اللَّهُمَّ واجعله قائدنا ودليلنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم، اللَّهُمَّ ذكرنا منه ما نسينا، اللَّهُمَّ علمنا منه ما جهلنا، اللَّهُمَّ ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللَّهُمَّ فقهنا في الدين، اللَّهُمَّ علمنا التأويل، اللَّهُمَّ ارزقنا محبة وصحبة نبينا وسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ فقهنا في سنته، اللَّهُمَّ علمنا سنته، اللَّهُمَّ ارزقنا متابعته على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، اللَّهُمَّ اغفر لوالدينا وارحمهما، واجزهما خير ما جزى والدا عن ولده، اللَّهُمَّ اشف مريضهما، اللَّهُمَّ أعنا على برهما، اللَّهُمَّ اغفر لهما تقصيرهما في حقك، واغفر لنا تقصيرنا في حقهم يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح لنا في ذرياتنا، اللَّهُمَّ وسع لنا في أرزاقنا، اللَّهُمَّ اقض عنا الدين، اللَّهُمَّ اشف مريضنا، اللَّهُمَّ رد المسافرين غانمين إلى بلدانهم مغفورة ذنوبهم، مغفورة صحتهم، مجابا سؤالهم يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت ولينا ومولاها.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من الهم والحزن وسوء الكبر، ومن غلبة الدين وقهر الرجال، اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك أن تكون لنا حاجة إلى غيرك، اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك، وبك عمن سواك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الأسئلة

سؤال: **أخونا يقول: هل الاستغفار في الأسحار أفضل أم تلاوة القرآن؟**

الجواب: قلت لك أن المحققين من أهل العلم يقولون إن المرء إذا جمع بين العبادات الفاضلة فهو الأتم، وهذا جمع الحافظ العلامة أبي الفرج ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى المجاور ببيت الله الحرام، فقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أن الأفضل مما يعمل في شهر رمضان أن يجمع المرء الصلاة والقراءة والدعاء والاستغفار، فتكون صلاته جامعة الأربع.

ولذلك من صلى وقد جمع الأربع فأطال القيام وهو الذي يسمى القنوت، وأطال الركوع والسجود، والركوع تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، والسجود دعاء الجبار جَلَّوَعَلَا فإن هذا هو أتم ما يفعل في هذه الأيام.

ولكن بعض الناس قد يتعب من طول القيام، فحينئذ يجلس ويقرأ جالسا، أو يدعو على هيئته ونحو ذلك.

سؤال: **هذا أخونا يقول: هل إذا أدرك الإنسان لحظة يسيرة** -هنا قال: بسيطة، والصواب أن يقول: يسيرة، لأن البسيط هو الكثير- **لحظة يسيرة في صلاة العصر يعتبر أدرك الجماعة أم لا؟ يقول الجماعة هكذا؟ نعم الجماعة.**

الجواب: ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنْ صَلَاةِ العَصْرِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَقَدْ أَدْرَكَ العَصْرَ، وَمَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنْ صَلَاةِ العِشَاءِ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ العَشَاءَ**».

هذا الحديث جاء بلفظين: جاء بلفظ من أدرك ركعة، وجاء بلفظ من أدرك سجدة.

ولذلك فإن لأهل العلم في هذا الحديث توجيهات:

جمهورهم -وهو المعتمد عند فقهائنا- أن مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن أدرك ركعة أو أدرك سجدة أي: أدرك ركنا.

وأول أركان الصلاة ما هي؟

هي تكبيرة الإحرام، وبناء على ذلك فإن من أدرك مقدار تكبيرة الإحرام، فصلى قبل خروج الوقت، فإنه يكون مدركا للصلاة في وقتها، فتكون صلاته أداء وإن كان ما بعدها يكون قضاء.

ويقاس على ذلك أن المرأة إذا طهرت من حيضها، أو إذا بلغ الصبي، أو إذا أفاق المجنون قبل خروج الوقت بمقدار تكبيرة الإحرام فإنه يلزمه أداؤها، وإن فعلها بعد خروج وقتها.

ومما ينبني على هذا الحديث على هذا القول: إدراك الجماعة، فإن جماهير أهل العلم يقولون: «إن الجماعة تدرك بإدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام إلا الجمعة»، لما جاء في حديث جابر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنْ صَلَاةِ الجُمُعَةِ**»، فهذا الحديث محمول على صلاة الجمعة دون ما عداها، فالجمعة لا تدرك إلا بركعة، وما عداها من الفرائض فتدرك مع الإمام بإدراك تكبيرة الإحرام فقط.

وقال بعض أهل العلم: «إن مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإدراك ركعة؛ **أي**: إدراك ركعة

كاملة، فلكي يكون المرء مدركا الوقت أداء، ومدركا الصلاة جماعة فلا بد أن يدرك الركوع مع الإمام»، وهذا قول لبعض أهل العلم، وقول الجمهور وظاهر الأدلة يدل على الأول.

لكن نقول: من أراد أن يدخل مع الإمام -فإن فقهائنا يقولون- وقد أدرك الإمام في التشهد الأخير؛ يعني: لم يدرك معه ركعة، فإن له حالتين:

✰ **إما أن يكون الإمام إماما راتبا**: ومعنى كونه إماما راتبا؛ أي: إمام المسجد الذي جماعته هي الجماعة الراتبة الرسمية، فالدخول معه أفضل من الدخول مع الجماعة الثانية، لما جاء في حديث أبي بكرة مما يدل على النهي عن تكرار الجماعة في المسجد الواحد.

✰ **وأما إن كانت الجماعة ليست هي الجماعة الأولى**، بأن كان المسجد لا راتب له كمساجد الطرق والأسواق، أو أن الإمام الراتب قد انقضت جماعته وبدأ الناس يصلون جماعة أخرى بعد الجماعة الأولى، فذكر فقهاؤنا أن الأفضل أن يدخل مع الجماعة الثانية التي يفتتح مع إمامها بتكبيرة الإحرام، فتكون أولى من الجماعة الأولى؛ لأنه لا فضل بينهما، إنما الفضل للجماعة التي لها الإمام الراتب.

هذا ملخص القول وأتيت به اختصارا وإيجازا.

سؤال: هذا أخونا يقول: «ٱدْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»، ما معنى هذا الدعاء؟

الجواب: -أيها الموفق- إن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل أسبابا لإجابة الدعاء، بل إن بعض أسباب إجابة الدعاء لو فعلها الكافر لأجيب دعاؤه، الكافر لو أتى بهذا السبب لاستجيب

دعاؤه.

ما هو هذا السبب؟ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، كل من كان مضطرا تعلق قلبه بالله؛ لأن المضطر لا خيار أمامه إلا واحد، كل من انقطع انقطعت علائقه وظنه بغير الله، ولم يصبح قلبه متعلقا إلا بالله، فأصبح دعاؤه كدعاء المضطر، فإنه يستجاب دعاؤه ولو كان كافرا، ولو كان كافرا، ولو كان كافرا.

ولذلك جاء في بعض الأحاديث أن في آخر الزمان لا يُنَجِّ المرء إلا أن يدعو بدعاء الغريق، من سقط في لجة البحر يوما، ثم أنجاه الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أن الذي في لجة البحر إذا التفت اليمين والشمال لا يرى إلا ماء، وإذا غاص في البحر رأى ظلمة، فكيف إذا اجتمعت عليه الظلمات الثلاث؟

الغريق هذا يعلم أن لا ملجأ له ولا منجى إلا الله، هذا الغريق من دعا كدعائه استجيب دعاؤه، ولكن الناس درجات في قوة الاضطرار، وهذا معنى قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ**»، كلما كان اضطرارك أعلى ويقينك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أتم كلما كان أتم في الإجابة، وكلما كان أقل فإنه يكون دون ذلك، وأقل أقل ما يكون معناه إيقانا بالإجابة أن تتفكر في الدعاء، وأن تعظم المدعو وهو الجبار جَلَّ وَعَلَا، هذا هو من أعظم الإيقان بالدعاء.

وهنا نكتة؛ بعض الناس قد يدعو بدعاء بدعي لم يرد، بل قد يكون فيه لفظ منهي عنه كاستغاثة واستعانة، فيستجاب دعاؤه، بل قد يدعو في مكان منهي عنه شرعا فيستجاب

دعاؤه، فنقول: هذا لا أجل صيغة دعائك، ولم يستجب دعاؤك للموضع البدعي الذي أتيت إليه، وإنما استجيب دعاؤك لما وقر في قلبك من الاضطرار، حتى إن الكافر يستجاب دعاؤه وهو مضطر.

بعض الناس يقول: ائت المزار الفلاني وادعو فيه الدعاء فيه مجرب، نقول: لا؛ الدعاء مجرب بالاضطرار قُبل لا للمكان، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين لنا أنه إنما يدعى الله عَزَّ وَجَلَّ، والإمام مالك؛ انظر لفقه إمام دار الهجرة، الإمام مالك الذي نزِّل فيه كما قيل حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ فَلَا يَجِدُونَ إِلَّا عَالَمَ الْمَدِينَةِ**»، مر الإمام مالك هنا بمسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأى أقواما سلموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرادوا أن يدعوا مستقبلين القبر مستدبرين القبلة، فغضب الإمام مالك، وقال: «بدعة، إذا دعوت فاستقبل القبلة، ادعو الله عَزَّ وَجَلَّ»، قال: أنا ادعو الله، قال: «نعم، لكن من أسباب إجابة الدعاء أن تستقبل القبلة».

إذن: الدعاء لله، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله، إذا أردت أن يستجاب دعاؤك فادع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الدعاء هو العبادة، أنت في بيت الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه الصلاة بألف صلاة فادعوا الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذن: هذا ما يتعلق بالإيقان بالدعاء.

سؤال: المسألة التي بعدها -هذا متعلق بدرس الأمس- **أحد الإخوة يقول: هل تجوز العمرة للوالدين؟**

الجواب: نقول: نعم تجوز، سواء كان والداك حيين أو كانا ميتين، يجوز، ويجوز سواء كانا قادرين أو كانا عاجزين، نعم، يجوز ذلك.

وقد قال رجل: لبيك اللهم عن شبرمة، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَدِّ عُمْرَةً عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ لَبِّ عَنْ شُبْرُمَةَ**»، فيجوز أن تأخذ عمرة عن أبيك وعن أمك وعن قريبك.

لكن متى يكون ممنوعا؟ يكون ممنوعا في حالة واحدة إلا بشروط، طبعا تكون ممنوعة في حالة واحدة بشروط:

إذا كانت العمرة عمرة واجبة أو كان الحج حجا واجبا: فإن الواجبات لا يقوم أحد عن أحد فيها إلا حال العجز.

فإذا كان أبوك أو أمك لم يعتمرا عن أنفسهما فليس لك أن تؤدي عنهم العمرة الواجبة؛ لأن العمرة متعلقة ببدنهما الواجب، لكن لو كانا قد اعتمرا فأد عنهما عمرة أو ماتا فيجوز.

لكن إذا كانت عمرة واجبة فلا يجوز لك أن تؤديها عنهما إلا حال العجز أو الوفاة، بأن كان غير قادر الانتقال لمرض وكبر سن، أو كان ميتا فتؤدي عنه العمرة الواجبة.

وإن كان حيا عاجزا فلا تؤدها عنه إلا بتوكيل؛ لأن الواجب لا بد فيه من النيابة، فتتصل على أبيك أو أمك فتقول: سأؤدي عنك فوكلني أو ائذن لي.

وأما إن كانت مندوبة بأن كان أبوك أو أمك قد أخذ عمرة عن نفسه، فلا يلزم إذنه، ولا يلزم عجزه، ولا تلزم وفاته، بل تجوز مطلقا، وهذا الذي عليه جماهير أهل العلم كأبي حنيفة ومالك وأحمد، وهو الأصح من قول أهل العلم في المسألة.

سؤال: هذا أخونا يقول: عندي سبعة آلاف ريال، وذهبت إلى صاحب الذهب فسألته عنه هل بلغ النصاب أم لا؟ فقال: لا.

الجواب: نعم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت عنه أنه قال: «**لَيْسَ فِيمَا دُون مِائَتَيْ دِرْهَمٍ زَكَاةٌ**»، وقال في الذهب: «**لَيْسَ فِيمَا دُون عِشْرِينَ دِينَارًا زَكَاةٌ**».

وهذه النقود التي نتعامل بها الريالات، والدولارات، والجنيهات، والدراهم، والدنانير، وغيرها من المسميات، وكذلك سائر عروض التجارة يكون نصابها نصاب الأقل من نصاب الذهب والفضة، ولا شك أن نصاب الفضة أقل.

واحسبوا معي الآن: بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نصاب الفضة كم؟

درهم، مئتا درهم، والدرهم يعادل جرامان وسبعة وتسعون بالمئة من الجرام، لنقل ثلاثة.

إذن: كم يكون النصاب من الفضة؟ ثلاثة في مئتين -أين صاحبنا صاحب الحساب أمس؟ - ست مئة جرام فضة، من ملك ست مئة جرام فضة ففيه الزكاة، بسعر هذه الأيام عندنا، السعر الواحد في العالم، لكن بسعر الريال السعودي جرام الفضة يعادل تقريبا أقل من ريالين، نحو من ريال ويزيد عن النصف، لنقول: ريالين على الأكثر، هو أقل من ريالين، لكن لنقول ريالين أسهل في الحساب، ريالان في ست مئة كم يكون النصاب؟

على أكثر تقدير، شوف زودنا في الجرامات، وزودنا في قيمة الجرام، فأصبح النصاب ألفا ومئتي ريال، فكل من كان يملك ست مئة جرام فضة، ويعادل ألفا ومئتي ريال فتجب

عليه الزكاة إن لم ينقص حوله في السنة عن هذا المبلغ.

ولذلك العلماء يقولون: الغنى نوعان: غنى يوجب الزكاة، وغنى يمنع استحقاق الزكاة، ولا تلازم بينهما، فقد يخرج المرء الزكاة، ويأخذ الزكاة من غيره.

الغنى الذي يوجب الزكاة: من ملك ألفا ومئتي ريال تقريبا سنة كاملة فعليه الزكاة.

والغنى الذي يمنع استحقاق الزكاة: فقد أوصاف خمس في الفقير إضافة للباقية في الأصناف الثمانية في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠] إلى آخر الآية.

سؤال: **أخونا يقول: امرأة زوجها توفي فهل يجوز لها العمرة عنه؟ علما بأنها تجاوزت السبعين من عمرها؟**

الجواب: أما أن تعتمر عن زوجها فنعم؛ من حيث الجواز هو جائز، لكن عندنا مسألة أو مسألتان:

۞ **المسألة الأولى**: بعض الإخوة الحاجين والمعتمرين يقول: أريد أن أكرر أكثر من عمرة في مكة، يجوز ذلك، ليس منهيا عنه، لكن أحدثك عن الأفضل، الأفضل ألا تكرر العمرة، وإنما الأفضل كما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ألا تأتي بعمرة إلا وقد أنشأت سفرا، فإذا كنت جئت إلى مكة فاعتمرت، ثم ذهبت إلى مدينة المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم رجعت مرة ثانية إلى مكة فاعتمر، هذه السنة، فتنشئ سفرا.

لكن لو كررت العمرة يجوز ذلك، لكنه خلاف الأولى، قد يرتفع خلاف الأولى هذا أحيانا لمن أراد أن يعتمر عن ميت عمرة واجبة، فيقول: هذا لأجل قضاء دين الميت، فهذا أمره أسهل.

۞ **المسألة الثانية**: أن بعضا من الناس يكرر العمرة أو يعتمر عن ميت عمرة مندوبة، ولربما انشغل بفاضل يكون مغنيا عنها.

كيف ذلك؟

۞ **الأمر الأول**: أنه يكون فاضلا باعتبار جهد نفسه، فأختنا هذه عمرها سبعون عاما فإتعابها نفسها ليس من دين الله عَزَّوَجَلَّ في شيء، فكونها أخذت عمرة عن نفسها فالحمد لله، تدعو لزوجها، وتستغفر له قد يكون أفضل، لكيلا تتعب نفسها، هذا من جهة.

۞ **من جهة ثانية**: لعموم الناس، أحيانا -أيها الموفق- قصدك عدم إيذاء المسلمين، وقصدك التخفيف على المسلمين بعدم تكرار العمرة تؤجر عليه، تؤجر على هذه النية، فإن المرء يؤجر على نية الإحسان للمسلمين، رجل دخل الجنة بغصن رفعه من الطريق، فكيف برجل خفف الزحام على الناس؟! وخاصة إذا كان يدفع بعربية يؤذي الناس -ربما بعض الشيء- في وقت الزحام؛ فإن له أجرا.

ولذلك العمرة في رمضان أجرها في أول رمضان وآخره سواء، لا فضل في العشر الأواخر، قلته في أول الدرس، أفضل شيء في العشر الأواخر أربعة أعمال أختم بها حديثي، من يذكرني إياها؟

كل يوم شرحت درسا، أولها؟

لا لا، أولها؛ فرق عند العلماء بين قولهم: أولها، وبين قولهم: أحدها، إذا قلت لك: أحدها، فاذكر ما شئت من غير ترتيب، وإن قلت لك: اذكر أولها، فاذكرها بالترتيب.

✰ **أولها**: لزوم المساجد ومنه الاعتكاف.

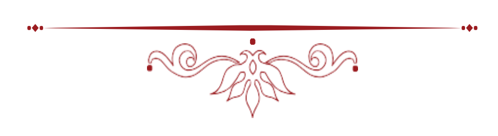
✰ **ثانيها**: قيام الليل.

✰ **ثالثها**: قراءة القرآن.

✰ **رابعها**: حديثنا اليوم الدعاء.

هذه الأربع إذا فعلتها -وتجتمع كلها في الصلاة- إذا فعلتها فأنت فعلت أفضل ما يفعل في العشر الأواخر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد [١]**.**



(١) نهاية المجلس الأول.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فإننا في هذا اليوم مقبلون على ليلة مباركة فاضلة وهي ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان، وهذه الليلة هي أول ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ لعباده مواسم طاعات يتعبدون الله عَزَّوَجَلَّ فيها، ويتحنثون إليه جَلَّ وَعَلَا، ويتقربون إليه بسائر القربات.

ومن نعم الله عَزَّوَجَلَّ أنه جعل هذه المواسم تعود وتتكرر، فمنها ما يتكرر في كل يوم، ومنها ما يتكرر في كل جمعة -أي: في كل أسبوع-، ومنها ما يتكرر في كل شهر، ومنها ما يتكرر في كل سنة، فما يتكرر في كل يوم كالثلث الأخير من الليل، فإنها ساعة مباركة فاضلة ينزل الله جَلَّ وَعَلَا فيها إلى السماء الدنيا، فيقول: «**هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**».

وأما الأسبوع فإن فيه مواسم من أفضلها يوم الجمعة، إذ يوم الجمعة قد جعل الله عَزَّوَجَلَّ فيه من مواسم الطاعات، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ في يوم الجمعة من المناسبات التي يتقرب فيها العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ ما هو شيء عظيم من الصلاة؛ **أي**: صلاة الجمعة، ومن

الســـاعة التي تكون في أثناء يوم الجمعة التي لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ إلا استجيب دعاؤه، ما لم يدعو بإثم أو بقطيعة رحم، وفي الأسبوع مواسم أخر كيوم الخميس والإثنين وغيره.

وفي كل شهر كذلك مواسم، فإن من مواسم الشهر أيامه البيض في وسطه، وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يصوم هذه الأيام.

ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وفضله ومنته أن جعل في السنة كلها مواسم لا تتكرر إلا مرة في كل عام، فرمضـــان، والحج، وعرفة، وهذه الأيام التي نحن مقبلون عليها وهي العشـــر الأواخر هي من المواســـم العظيمة التي امتن الله عَزَّوَجَلَّ بها على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ووجه ذلك** أن الأمم قبلنا كانت أعمارهم طوالًا، وكانت أبدانهم ضـــخامًا، فقد خلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم طولـه ثلاثون ذراعًا في الســـماء، فمازال النـاس يتنـاقصـــون إلى أن جـاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ نظر لهذه الأمة فإذا بها أمة ضعيفة في أبدانها، قصيرة أعمارها، فرحمها الله عَزَّوَجَلَّ بهذه المواســـم الفاضـــلة التي يكون العمل فيها مضـــاعفًا، والأجر فيها مكررًا، رحمة منه جَلَّ وَعَلَا وإفضـــالًا وإنعامًا وإحســـانًا وجودًا وكرمًا، فلله الحمد أن من علينا بالإسلام، ولله الحمد أن من علينا بالفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

-أيها الأفاضـل- إن من هذه المواســم الحولية، والأوقات التي تتكرر في كل عام مرة

هذا الموسم الذي سيبدأ بعد بضع ساعات؛ **أعني به**: «**العشر الأواخر من شهر رمضان**»، وهذه العشر الأواخر قيل عنها إنها أفضل ليالي السنة كلها، إذ في السنة ليال وأيام، فالأيام قيل: إن أفضلها الأيام الأول من عشر ذي الحجة، وأما الليالي فقيل إن أفضلها في السنة كلها هي الليالي العشر من شهر رمضان التي نحن مقبلون عليها.

هذه الليالي كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد في القيام، ويجتهد في الطاعة فيها، حتى إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحيي ليله، ويشد مئزره، ويطوي فراشه، ويلزم المسجد معتكفًا، وهذه الأفعال منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر يدل على فضل هذه العشر كلها سواء كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عالمًا ليلة القدر منها بخصوصه كما كان في أول أمره، أو لكونه لم يك عالمًا لها لما نسيها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قصدي من ذلك أن نعلم أن العشر الأواخر فاضلة بعمومها، وفاضلة لما حوته من ليلة القدر.

۞ **إذن**: هذا الفضل الأول لهذه العشر هو اجتهاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالعبادة، وإكثاره فيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطاعة بشد المئزر، وإحياء الليل، ولزوم المساجد، وإيقاظ أهله، وطي فراشه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

۞ **ومن فضل هذه العشر الأواخر -أيها الأفاضل-**: أن هذه العشر هي خواتيم رمضان، والأعمال بخواتيمها، فإن العمل إذا كان خاتمته حسنة فإنها علامة خيرية فيه وقبول له، ولو كان أوله شابه ما شابه من النقص، ولما كان الثلث كثيرًا كما قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**» دلنا ذلك على أن من فعل كثيرًا في رمضان، واجتهد في العشر الأواخر منه بالطاعة والبر والإحسان، فقد فعل خيرًا كثيرًا في شهر رمضان، فحق له أن يكون ممن اجتهد في هذا الشهر العظيم اجتهادًا كبيرًا.

ولما قلت: إن الثلث هو الكثير؛ لأن العلماء قد قرروا قاعدة مشهورة، وهو أن الثلث حد بين حد القلة وحد الكثرة، فهو حد يفصل بين القلة، فما نقص عنه فهو قليل، وما زاد عنه فهو كثير وهو حد، ويلحق في أحايين كثيرة بالكثرة، ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حديث سعد: «**الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**»؛ **أي**: أنه حد للكثرة.

۞ **ومن فضائل هذه العشر الأواخر التي نحن مقبلون عليها** أن فيها ليلة عظيمة، هذه الليلة ذكرها الله في كتابه، وجعل لها من الفضل ما ليس لغيرها من ليالي العام كله، إنها ليلة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٣ – ٤].

إذن: هذه الليلة العظيمة هي ليلة عظيمة فاضلة قد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ فيها من الفضل ما ليس لغيرها من ليالي السنة، ففي هذه الليلة يضاعف العمل، ويرجى قبول الصالحات، ويرجى قبول الدعوات كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ أَدْرَكْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَاذَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

وهذه الليلة قيل إنها يكون فيها تقدير الحول من حيث ما ينزل إلى الملائكة مما يكون من خير وشر، وليعلم المرء أنه في وقت التقدير الأسبوعي والحولي يشرع له الاجتهاد في الطاعة، إذ ترفع الأعمال في يوم الاثنين، فيجتهد، فيشرع فيه الطاعة ويقدر العمل والقدر

الحولي في ليلة القدر في أحد قول أهل العلم، ويجتهد فيه في الطاعة.

إذن: المقصود من هذا أن هذه العشر -أيها الأفاضل- فيها من الفضل العظيم الشيء الكثير، ولكن المغبون والمحروم حقيقة هو من أدرك هذه العشر بعقل سليم وجسم صحيح، ثم تمر عليه هذه العشر كسائر أيام السنة من غير اجتهاد، ولا مزيد طاعة وإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يندم على ذلك إلا من فقد الصحة بعد وجودها؛ **أي:** بالمرض، وفقد الحياة بوفاته، فحين ذلك يلوم نفسه ويندم على سنوات مرت عليه ولم يجتهد فيها، وحين ذاك يصدق عليه ما قال الناظم:

فَنَفْسَكَ لُمْ وَلَا تَلُمِ الْمَطَايَا وَمُتْ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اِعْتِبَارُ

-أيها الإخوة الأكارم-؛ أما وقد علمنا فضل هذه الأيام العشر التي نحن مقبلون عليها فلنعلم أصلًا عظيمًا قرره أهل العلم، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وهو أنه لا تلازم بين فضل الأوقات وبين استحباب مطلق الأعمال، وذلك أن كثيرًا من الأوقات تكون فاضلة، وإنما يفضل فيها ما ورد به النص، فيكون الأجر فيه فاضلًا ومضاعفًا، وأما غيرها من الأعمال فإما أن تكون جائزة لكنها تكون مفضولة، وإما أن تكون منهيًا عنها.

وأضرب لك مثالًا: فإن من أفضل أيام السنة يوم العيد، وقد جاء فيه حديث عند الإمام أحمد أن أفضل أيامكم يوم عيد النحر، ومع فضل هذا اليوم العظيم من أيام الله عَزَّوَجَلَّ إلا أنه منهي عن صيامه، فلا يجوز صيامه، ومن صامه لم يجزئه صيامه عن فرض ولا عن نافلة، كما أنه نص كثير من أهل العلم على النهي عن تخصيص ليلته بالقيام مع فضل هذا

اليوم على سائر أيام السنة كلها.

وكذلك نقول أيضًا في مواسم اليوم الواحد، فإن من أفضل أوقات اليوم العصر الذي نحن فيه الآن، والعصر من أفضل أوقات اليوم كله، فهو أفضل من أول النهار، وهو أفضل من الليل، وقد أقسم الله عَزَّوَجَلَّ به فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١ – ٢]، وإنما أقسم الله عَزَّوَجَلَّ به لبيان فضله وعظم قدره، ولما بين الله عَزَّوَجَلَّ الصلوات أكد صلاة العصر لفضل وقتها ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، جاء في بعض القراءات –غير السبعية وإنما قراءات الآحاد– (صلاة العصر)، وبين الله عَزَّوَجَلَّ أنه عند تعظيم اليمين تكون بعد صلاة العصر ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، قال الصحابة: «هي صلاة العصر»، وهذا يدلنا على أن العصر أفضل أوقات النهار، ومع ذلك نحن منهيون عن الصلاة فيه.

مما يدلنا على القاعدة التي ذكرت لك قبل قليل أنه لا تلازم بين فضل الزمان ومطلق الأعمال الصالحة، وإنما يفضل من الأعمال الصالحة ما ورد به النص.

وفي هذه العشر الأواخر من شهر رمضان، أما وقد أنعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا بإدراكها وحضور زمانها، بل وحضورها في مكان فاضل شريف مبارك وهو في مسجد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ فلنجتهد من الطاعات بما ورد به النص، فإنه أعظم ما يثاب عليه المرء، ولذا فإن عائشة سألت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ماذا تقول، وقد بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أفضل الأعمال التي تعمل في هذه العشر الأواخر.

◊ **فمن الأعمال الفاضلة التي تعمل في هذه العشر الأواخر** وقد فعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوم المساجد، وقد قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل قال إبراهيم بل قال الأسود النخعي قال: «كان صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل عليهم رمضان لزموا المساجد، وقالوا: نحفظ صيامنا»، فلزوم المساجد وإطالة المكث فيها وخاصة المساجد الفاضلة ومنها مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما أطال المرء المكث فيه ولزومه وعدم الخروج منه فإنه ينال أجرًا عظيمًا.

ولنعلم أن لزوم المساجد نوعان: عام، وخاص، وكلا النوعين يسمى اعتكافًا.

❖ فإن **المعنى العام للزوم المساجد**: كل من دخل المسجد فإنه يسمى معتكفًا لازمًا له.

❖ وأما **المعنى الخاص**: فإنه من لزم المسجد مدة ولبث فيه لبثًا طويلًا، إذ المعنى الخاص للاعتكاف يقتضي إطالة المكث.

❖ فنبدأ أولًا بالمعنى العام، **والمعنى العام**: هو أن كل من دخل المسجد ومكث فيه سمي معتكفًا، وهذا الذي ورد في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فقد نهى الله عَزَّ وَجَلَّ عن وطء النساء في المساجد حال الاعتكاف؛ **أي**: حال المكث فيه ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالمراد بالاعتكاف هنا لزوم المسجد والمكث فيه، فكل من دخل المسجد فهو معتكف بالمعنى العام.

❖ وأما **المعنى الخاص**: فإنه الذي يقتضي اللزوم مدة، وسأتكلم عن هذه المدة بعد

قليل ما هو حد أقلها.

ولنعلم أن الاعتكاف في العشر الأواخر آكد منه في غيره من السنة كلها، ولذا فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتكف في أول رمضان، واعتكف في وسطه، واعتكف في آخره، وكان الآخر من فعله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأكثر أن اعتكف في العشر الأواخر من رمضان، وهذا يدلنا على فضل الاعتكاف في هذه العشر الأواخر بالخصوص.

وجاء عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قضى اعتكافه في أول شوال، وهذا الفعل منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفيدنا أمورًا منها:

- أن الاعتكاف ليس خاصًا برمضان.
- ومنها أن من شدة تأكيد الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما تركه قضاه.
- والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له خاصة عن أمته، أنه إذا لزم عبادة من النوافل وجبت عليه، فقيام الليل واجب عليه، وغيرها من الطاعات واجبة عليه التي تكون في حق أمته نوافل، ولكن إنما يلزم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنن المؤكد، وانظر لهذا القيد المهم.

إذن: إنما لزم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنن المؤكد، فقضاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاعتكافه في العشر الأواخر من رمضان يدلنا على حكمين: حكم خاص به، وحكم عام لعموم أمته.

- **فأما الخاص به:** فإن الاعتكاف كان واجبًا في حقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈ **وأما العام لأمته**: فهو أن الاعتكاف في العشـــر الأواخر من رمضـــان ســـنة مؤكدة، وصـــفة التأكيد فيها الملازمة، إذ الفرق بين الســـنة المؤكدة وغيرها أن المؤكد يســـتحب ملازمته والاستمرار عليه، وأما غير المؤكد فإنه يستحب تركه في أحايين كثيرة، إذ من السنة ترك السنة في بعض الأحيان كما تعلمون.

إذن: هذا يدلنا على فضل الاعتكاف في هذه العشر الأواخر على سبيل الخصوص.

ومما يدل على فضـــل الاعتكاف على ســـبيل العموم أن كل من لزم المســـجد؛ فإن له أجورًا مضاعفة كبيرة في لزوم المسجد، ومن هذه الأجور:

◈ أنه يكتب له أجر الملي وإن لم يصـل، فقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ**»، والمعتكف ينتظر صلوات لا صلاة واحدة، فدلنا ذلك على أن المعتكف في المسـجد له أجر المصـلي، فما ظنك من كان معتكفًا في مسـجد رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو في المسجد الحرام أو في المسجد الأقصى فإن أجر الصلاة له يكون مضاعفًا، إذ الصلاة في مســـجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألف صـــلاة، والصـــلاة في المســـجد الأقصـــى بخمســـمائة صلاة، والصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة.

إذن: فذاك المعتكف في هذه المساجد الثلاث له من الأجر العظيم ما الله به عالم.

◈ من الفضـــائل المتعلقة بمن لزم المســـجد معتكفًا أن ذاك الذي يكون معتكفًا في المســـجد تـدعو لـه الملائكـة، فتقول: اللهم اغفر لـه، اللهم ارحمـه، فـالمرء إذا انفتـل من صـــلاته وبقي في مصـــلاه تدعو له الملائكة كما ثبت في الصـــحيح، تقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ،**

اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ**»، قال شراح الحديث: إن معنى المصلى أو إن للمصلى معنيان كما أن للمسجد معنيان، وللمقبرة معنيان:

❁ **فالمعنى الأول**: يقصد بالمصلى في هذا الحديث؛ **أي**: المكان المحاط، فيكون المعتكف داخلًا في فضل هذا الحديث، ولو قام من موضعه الذي صلى فيه.

❁ **والأمر الثاني لمعنى المصلى**: أن المراد بالمصلى البقعة والمكان الذي صلى فيه، ومنه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا**»؛ **أي**: مكانًا للسجود.

فقوله في الحديث: «**مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ**» **أي**: في المكان الذي صلى فيه؛ **أي**: البقعة الخاصة، وفضل الله واسع، ومن ظن بالله خيرًا أعطاه الله ظنه وسؤله، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ عَبْدِي بِي مَا شَاءَ**».

ولذلك فإننا نقول إن فضل الله واسع، فمن لبث في المسجد معتكفًا فإنه يؤجر أجر المصلي، وتدعو له الملائكة ما دام في المسجد ولم يقطعه بخروج.

إذن: أيها الأفاضل؛ هذا هو فضل من فضل الله عَزَّ وَجَلَّ لمن اعتكف، ولنعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما اعتكف العشر الأواخر وفعله أصحابه معه وزوجاته -رضوان الله عليهن- لم يبين لهم فضلًا خاصًا للاعتكاف في العشر الأواخر، لسببين:

❁ **السبب الأول**: لكي يعظم في قلب المؤمن مزية الاقتداء والإتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن المسلم إذا علم السنة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاقتدى به فيها، واتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك السنة فإنه يؤجر وإن لم يعلم فضلها، فيكون ذلك من باب

تعظيم سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقيرها في نفسه ما يعلمه من كان متبعًا مقتديًا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه حكمة.

۞ **وحكمة ثانية:** وهو أن بعض الأعمال الصالحة لفضلها وعظم الأجر عليها يُخفى أجرها، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ اِبْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِه**»، فأخفى الله عَزَّ وَجَلَّ ثواب الصوم لعظمه، وقد يقال مثل ذلك في ثواب الاعتكاف في العشر الأواخر لعظم أجره عند الله عَزَّ وَجَلَّ وعظم المثوبة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولم نطلع عليه، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي**»، حتى المرء يقم القمامة والقذى من المسجد عرض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجره، وإن لم يبن لكثير من الناس بيانه.

إذن: المقصود -أيها الأفاضل- في هذه المقدمة التي ذكرتها لك أن نعلم أن الاعتكاف فضله عظيم، ويتأكد الاعتكاف في هذه العشر التي ستبدأ بغروب شمس هذا اليوم بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ.

وعندنا في الاعتكاف مسائل نورد بعضها بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ بحسب ما يسمح به الوقت، من هذه المسائل ما ذكرت لك في أول الحديث أن الاعتكاف نوعان:

◊ **اعتكاف عام**: وهو لزوم المساجد.

◊ **واعتكاف خاص**: والاعتكاف الخاص هو لزوم المساجد لكن مدة، فلابد فيه من لزوم المدة.

وســيكون حديثنا عن الثاني وهو الاعتكاف الخاص الذي فعله النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذه العشر الأواخر، وقد ذكر علماء الشريعة رَحِمَهُمُاللَّهُ تعالى أن هذا الاعتكاف الخاص يختص بأحكام أربعة:

◈ أول هذه الأحكام الأربعة **أنه تلزم فيه النية**، وعندما نقول: النية، أريدك أن تنتبه أن المراد بالنية هنا هي نية المكث في المســجد، هذه هي النية، وليس المراد بالنية أمرًا زائدًا عن ذلك، إذ الاعتكاف هو المكث في المســجد، فليس الاعتكاف له نية زائدة عن نية المكث.

إذن: اعرف أن أمر النية ســهل، فمجرد أن تنوي لزوم مدة معينة فإنك تكون معتكفًا، فمن دخل المسـجد بعد صـلاة العصـر ناويًا المكث فيه إلى غروب الشـمس أو إلى طلوع الفجر أو إلى بعد انتهاء القيام فإنه قد نوى الاعتكاف.

إذن: النية المرادة نية لزوم المســجد، ولا يلزم نية التعيين إلا في المنذور -فيمن نوى نذرا-، وسأتكلم عن الاعتكاف المنذور بعد قليل.

وقال بعض أهل العلم وهو الشــيخ تقي الدين: «إن الاعتكاف لا يشــترط له النية»، والسبب؟

قال: «لأن الاعتكاف فعل وهو لزوم المسـجد، فمن لزم المســجد لطاعة فهو معتكف إلا أن يأتي بنية مناقضـة بأن يلزم المسجد لغير نية الطاعة، بأن يلزم المسـجد لأمر مباح كأن يدخل المسجد ليرقد -لينام يعني-، أو دخل المسجد ليأكل، أو دخل المسجد ليعمل شيئًا

من الأعمال المباحة فيه، وأما المحرمة فلا شـك أنه آثم على ذلك، والخلاف في الحقيقة يسير، وهذا مبني على التسهيل في أمر النية، فإن أمر النية أمرها يسير وسهل، **إذن:** انتبه لأمر النية وهو أمرها سهل، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يدخل أحد للمسجد عادة إلا بطاعة، فلذا فإن مجرد لزوم المساجد يسمى اعتكافًا وإن لم تنو تخصيص الاعتكاف.

❁ **لكن عندنا في النية أمران مهمان لا بد من الانتباه إليهما:**

❖ **أن النية أحيانًا في الاعتكاف يؤجر عليها المرء وإن لم يفعل**، فإن بعض الناس يدخل الاعتكاف ينوي اعتكافًا يومًا أو يومين كاملين، ثم يعرض عليه عارض فيخرج من اعتكافه، أو يكون في أثناء مدة اعتكافه يخرج لحاجة مبيحة له الخروج من المسـجد، فحينئذ يؤجر على نيته وإن لم يلزم المسـجد، فحينئذ النية بالمكث مدة كعشـرة أيام أو يومين يؤجر عليها المرء وإن قطع الفعل لحاجة أو خرج لحاجة مبيحة للخروج كقضـاء حاجة أو أكل وشرب، سنتكلم عن متى يخرج من معتكفه.

ولذا نعلم أن نية المؤمن أبلغ من عمله، وقد جاء فيه حديث عند الديلمي في مسـنده، ولكنه وإن لم يثبت إسناده إلا أن معناه صحيح، وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا مَرِضَ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَا يَعْمَلُهُ صَحِيحًا مُقِيمًا**»، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ مَا رَقِيتُمْ جَبَلاً، وَلَا مَشَيْتُمْ فِي وَادٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ مِنْ الْأَجْرِ مَا لَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

إذن: النية وإن لم تكن شرطًا في الاعتكاف عمومًا إلا أنها سبب للأجر كما ذكرت لك

قبل قليل، وإن قلت إنها ليست بشرط فإنه بناء على القول الثاني الذي يرى أن مطلق اللزوم كاف عن النية.

۞ المسألة الثانية في النية: **وهي أن النية تجب في حالة واحدة فقط وهي نية التعيين فيمن نذر الاعتكاف**، فإن نذر الاعتكاف جائز لكنه مكروه؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا يَسْتَخْرِجُ مِنْ مَالِ الْبَخِيلِ**»؛ **أي**: النذر، فيكره للمرء أن ينذر الاعتكاف، وإنما الأفضل له أن يعتكف تطوعًا بلا نذر، فيدخل بلا نذر، فلا يلزم نفسه شيئًا فيه مشقة عليه، لكن إن نذر فإنه يجب عليه أن يعين المنذور، فينوي بدخوله المسجد واعتكافه فيه الاعتكاف المنذور الذي نذره بلفظه.

إذن: متى يكون تعيين الاعتكاف واجبًا بالنية؟

نقول: إنما يجب حال كون الاعتكاف منذورًا، وأما ما عداه فلا.

إذن: هذه المسألة الأولى المتعلقة بمسألة نية الاعتكاف، وألخص لك إياها فأقول: إن النية يجب تعيينها متى؟ في الاعتكاف المنذور، وهو الذي ينذر فيه المسلم الاعتكاف فيقول: لله علي أن أعتكف العشر الأواخر ونحو ذلك، ولا يجب تعيينها في غيره من الاعتكاف، وهو الاعتكاف المستحب المتطوع به.

الأمر الأول: أن النية المراد بها نية لزوم المسجد مدة، فكل من نوى هذا الفعل فإنه ناو، ونيته يؤجر عليها وإن لم يعمل ما نواه لعذر طارئ عليه، إذا هذا الأمر الأول من الأمور المتعلقة بالاعتكاف الخاص وهو النية.

الأمر الثاني: وهو مدة الاعتكاف، وقد ذكرت لكم أن الاعتكاف لا يسمى اعتكافًا إلا بمكثه مدة، وهذا الذي يدل عليه لسان العرب، فإن لسان العرب يقتضي أن الاعتكاف اللزوم مدة معينة، وأن تكون تلك المدة مستغرقة فترة من الزمن.

وقد اختلف أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى ما هو أقل المدة التي يجوز الاعتكاف فيها؟

فأقل ما قيل: إنها لحظة، ليس ذلك صحيحًا، وقيل: إنها ساعة، وقيل: إن اليوم اثني عشرة ساعة كما جاء في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء أن الساعة أكثر من ذلك، وقيل: -وهذا القول هو قول أصحاب الإمام مالك وله حظ من النظر- أن أقل الاعتكاف هو ما كان يومًا كاملًا أو ليلة كاملة، والدليل على هذا القول أمور:

◈ **الأمر الأول**: أن أقل ما ورد فيه في الحديث هو ذاك، فقد جاء من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف يومًا وليلة -وفي لفظ: أن أعتكف ليلة-»، فدل ذلك على أن أقل ما يسمى اعتكافًا هو الليلة، ويشهد على ذلك أيضًا حديث عبدالله بن أنيس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يا رسول الله؛ إني إمام قومي بالبادية، وإني لا استطيع أن آتي مسجدك، فاجعل لي ليلة آتي فيها لمسجدك»، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اِتِ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ**»، قال ابنه لما سئل: «ماذا كان يفعل أبوك؟ قال: كان يأتي قبل غروب شمس ليلة ثلاث وعشرين، ويربط دابته عند باب مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويمكث فيه ولا يخرج منه ولا لحاجة -حتى الحاجة لا يخرج منها من المسجد-، فإذا صلى الفجر خرج فأخذ دابته، وذهب إلى

باديته».

وهذا يدلنا على أن أفضل الأقل، ولا نقول: هو أقل ما يسمى اعتكافًا، ولكن لنقول: أنه أفضل الأقل أن يلزم المرء المسجد يومًا كاملًا أو ليلة كاملة، وهذا هو قول أصحاب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ورحمهم ورحم علماء المسلمين.

إذن: هذا هو أقل ما يسمى اعتكافًا، وإن كان قد قال جمهور أهل العلم إنه يصح الاعتكاف ولو ساعة لظاهر دلالة اللغة، ولعدم وجود الحديث الناهي الدال على عدم جواز النقص عن الليلة أو اليوم، ولكن الأحوط أن يكون الاعتكاف يومًا وليلة أو ليلة، وهذا الذي فهمه صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأتم أن يكون أقله يومًا وليلة معًا، وأكمله أن يعتكف المرء عشرة أيام بلياليهن.

ولذا فإن السنة أن يدخل المرء في اعتكافه قبل غروب شمس هذه الليلة، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتكف حتى إذا كان في اليوم الذي يتبعه ليلة واحد وعشرين هم بالخروج، ثم إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث، فاعتكف تلك الليالي العشر، فدل ذلك على أن الاعتكاف يكون مبتدأ من ليلة الواحد والعشرين، وينتهي بانقضاء ليالي وأيام الشهر.

ولذلك استحب العلماء للمعتكف أن يخرج من المعتكف إلى صلاة العيد بثوب اعتكافه، فيلزم المسجد في أيام رمضان كله، وفي ليلة العيد فيكون لازمًا المسجد كذلك، والسبب أن ليلة العيد ليلة فاضلة، إذ ليلة العيد ليلة يغفل الناس فيها عن الطاعة، إذ يفرحون

فيها، وينشغلون بالبيع والشراء ليوم العيد، والله عَزَّوَجَلَّ يحب الطاعة حينما ينشغل الناس عنها، وفي صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ**»، والمراد بالعبادة في الهرج؛ **أي:** حينما ينشغل الناس عنها بصخبهم بالبيع والشراء، وبقولهم أو عند وجود الفتن وغيرها.

إذن: عرفنا المدة، عرفنا أقلها، وعرفنا أقل الكمال وهو يوم أو ليلة أو يوم وليلة بكمالها، وأما أتمها؛ **أي:** أتم الكمال فهو عشرة أيام بلياليهن، وهو أفضله ومدته أن يكون في هذه العشر الأواخر من شهر رمضان كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه هي المسألة الثانية فيما يتعلق بالاعتكاف الخاص، فقد تكلمنا عن نيته، ثم تكلمنا بعد ذلك عن مدته.

◈ **المسألة الثالثة** وهي متعلقة بمكانه، فإن الاعتكاف له مكان يكون شرطًا، ومكان يكون شرطا لبعض الناس، ومكان يكون فاضلًا.

إذن: فأماكن الاعتكاف ثلاثة.

۞ **الأمر الأول:** لا يصح اعتكاف إلا في مسجد، وقد ثبت ذلك من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا يصح الاعتكاف في غير المساجد، وهذا الذي يدل عليه كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، و(في) ظرفية هنا، بمعنى أنه لا اعتكاف إلا في مسجد.

وقد بين أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ حد المسجد، وقالوا: إن الموضع يسمى مسجدًا بشرطين:

۞ **الشـــرط الأول**: أن تكون البقعة موقوفة للصـــلاة، فإذا كانت موقوفة للصـــلاة فإنها حينئذ يتوفر فيها الشرط الأول لكونها مسجدًا.

۞ **والشرط الثاني**: أن تكون البقعة محاطة، وبناء عليه فما ليس بمحاط فليس بمسجد، ولذا قال أهل العلم: إن رحبة المسجد -ورحبة المسجد هي فناؤه- هل يكون من المسجد أم لا؟

نقول له حالتان:

۞ **الحالة الأولى**: **إذا كانت رحبة المسـجد محاطة** كمسـجد رسـول الله ﷺ في وقتنا هذا فإن رحبته؛ **أي**: فناءه في الخارج محاط بسور، فحينئذ يأخذ حكم المسجد.

وإن كانت الرحبة غير محاطة كما كانت في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة فإنها لا تأخذ حكم المسجد.

وبناء عليه فما جاء من إخراج الحيض المعتكفات من المسجد إلى الرحبة؛ **أي**: رحبة مســـجد رســـول الله ﷺ فهذا محمول على الرحبة غير المحاطة كما نص على ذلك العلماء صراحة.

إذن: **متى يكون الموضع يسمى مسجدا؟ بشرطين أليس كذلك؟ أم بثلاثة؟**

قلنا بشرطين:

◈ **الشرط الأول**: أن تكون البقعة موقوفة للصلاة؛ لأن المسجد موضع سجود، فلابد

أن تكون موقوفة للصلاة، فلو أوقفت لجهة بر غير الصلاة فلا تسمى مسجدًا.

◈ **الأمر الثاني**: أنه لابد أن تكون محاطة بسور، ولو كان السور قصيرًا، ولا يلزم أن يكون السور طويلًا، وبناء عليه فإن السور القصير الذي يصل إلى نصف قامة الرجل ربما يسمى سورًا كذلك، ومثله رحبة المسجد الحرام، فإن المسجد الحرام بعض أفنيته من بعض الجهات محاطة بسور قصير، فحينئذ نقول تأخذ حكم المسجد.

سأضرب لكم أمثلة، وقولوا لي: **هل يصح الاعتكاف فيها أم لا؟**

لو أن امرئًا وجد مسجدًا مهجورًا لا يصلي الناس فيه، تعلمون أن هناك مساجد تكون مهجورة يترك الناس الصلاة فيها -إما بسبب تركهم الحي الذي كان عامرًا قبل، وإما أن البلد تركت بكليتها فلا ساكن فيها، أو لأنه بني مسجد آخر فأصبح الناس يصلون في الثاني دون الأول-، لو أن امرئًا أراد أن يعتكف في ذلك المسجد المهجور، ونحن نتكلم عن الشرط الأول أو النوع الأول من الشروط، **فهل يسمى ذلك المسجد المهجور مسجدًا أم لا؟ ما رأيكم؟**

نقول: نعم يصح، فيصح الاعتكاف فيه.

هل يصح الاعتكاف في ظهر المسجد -أي في علوه-؟

نقول: نعم يصح الاعتكاف فيه؛ لأن الهواء يأخذ حكم القرار، لكن بشرط أن يكون الهواء موقوفا؛ لأنه أحيانًا عند ابتداء الوقف، انتبه لعبارتي: عند ابتداء وقف المسجد يوقف القرار دون الهواء، فحين إذ لا يكون الهواء والعلو مسجدًا.

مثال ذلك: في بعض الأماكن يأتي رجل فيوقف أرضًا، ويبني الدور الأول منها مسجدًا، والموقف الأول يبني الدور العالي عليه أو الدور الثاني عليه يبنيه بيتًا له، أو يبنيه مدرسة، أو يبنيه شيئًا آخر، فنقول: إن بيته والمدرسة حينئذ لا تكون مسجدًا، فلا يصح الاعتكاف فيه، بخلاف ما إذا بني مسجد، ثم جعل العلو مدرسة، فإن العلو وقف من ابتدائه.

إذن: النظر بالوقف باعتبار الابتداء، فالأصل أن الهواء يتبع القرار ما لم يكن الموقِف الأول للعرصة قد أوقف القرار دون الهواء، فحين إذ يكون القرار موقوفًا ولا يكون العلو موقوفًا.

مثال آخر عكسه: قد يكون العلو موقوفًا والهواء ليس موقوفًا، مثاله: هنا في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو دورات المياه ومواقف السيارات، فإن مواقف السيارات تحت في الأسفل -تحت التوسعة-، فحينئذ لا تكون مسجدا؛ لأنه عند الوقف الابتداء جعلت سفلًا، وجعلت فيها حمامات، فلا تكون داخلة في المسجد، وإنما يكون الوقف للعلو دون السفل لأجل ذلك.

هذه قاعدة أهل العلم أوردها العلماء في مواضع ذكروها في كتاب الوقف، وذكروها أيضًا في كتاب الصلاة وفي غيرها من المواضع.

إذن: هذا هو الشرط أو القيد الأول: أنه لا بد أن يكون مسجدًا.

القيد الثاني: أنه أو قبل أن ننتقل للقيد الثاني لأذكر لكم مسألة: بعض الناس يوجد عنده في عمله أو بجانب الدكاكين مسجد يصلون فيه، فيقول: أريد أن أعتكف في هذا الموضع.

هل نقول إن اعتكافك صحيح أم لا؟

نقول: لا، ليس صحيحا؛ لأنه ليس مسجدًا.

لو أن امرئً أراد أن يعتكف في برحة مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نقول: يصح، لو أن امرئًا أراد أن يعتكف خارجه -خارج سور المسجد-، نقول: لا يصح، لو أن امرئًا جعل له في بيته مسجدًا، فهل يصح أن يعتكف فيه؟

نقول: لا يصح، وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال بأنه بدعة، لا اعتكاف إلا في مسجد تقام فيه الصلاة.

ولذا من قال من أهل العلم من فقهاء أهل الكوفة كسفيان وأبي حنيفة -رحمة الله عليهما- أنه يجوز للمرأة أن تعتكف في مسجد بيتها فهذا قول غير صحيح أنكره الصحابة كابن عباس، وجاء أيضًا عن جابر أنه أنكره.

فالصواب: أنه لا اعتكاف للرجل ولا للمرأة إلا في مسجد، وبشرط أن يوجد في المسجد الوصفان الذي ذكرت لكم قبل قليل.

النوع الثاني من المساجد، قلنا: النوع الأول: الذي يلزم الاعتكاف فيه أن يكون مسجدًا للعموم.

النوع الثاني من المساجد المساجد التي تقام فيها الصلاة، وهذه شرط لمن تلزمه الجماعة، فإذا كان المعتكف رجلًا فلابد أن يعتكف في مسجد تقام فيه الجماعة، وأما إن كان المعتكف امرأة أو معذورًا في ترك الجماعة فيجوز له أن يعتكف في مسجد لا جماعة

فيه كالمساجد المهجورة.

۞ **المسألة الأخيرة** وأقف عندها لانتهاء مدة الدرس، وهو مسألة أن أفضل المساجد في الاعتكاف هي المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسجد الأقصى، وسبب تفضيل هذه المساجد الثلاث أمور:

۞ **الأمر الأول**: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتكف هنا في هذا المسجد، فدل الاتباع على أفضلية الاعتكاف في هذا المسجد.

۞ **والفضل الثاني**: أنه قد مر معنا أن فضل الاعتكاف أو أن من فضل الاعتكاف أن المعتكِف ولازم المسجد يكتب له أجر المصلي، فهو في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، والصلاة في هذه المساجد الثلاث أجرها أعظم من غيرها من المساجد، ولا يلزم أن يكون الاعتكاف فيها، وقد جاء ذلك عن ابن عم مسعود وابن عباس وغيرهم أنهم قالوا: «الاعتكاف في صلاة في مسجد تقام فيه صلاة الجماعة»، ولا خصيصة لهذه المساجد في اشتراط الاعتكاف فيها، وإنما الخصيصة لها في الفضل فقط، وأما حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه سعيد بن منصور من طريق إبراهيم النخعي عن حذيفة فإن الحديث مع إرساله فإنه وهو حديث حذيفة: «**لَا اِعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثِ: الْمَسْجِدُ الحَرَامُ، وَمَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**»، فإن أهل العلم يحملونه على الاعتكاف المنذور المعين صفته، انظر عبارتي: يحملونه على ماذا؟

على الاعتكاف المنذور المعين صفته؛ **أي**: صفة محله، لأن العلماء يقولون: إن من

نذر الصلاة أو الاعتكاف في غير المساجد الثلاثة لا تلزمه تلك الصفة، من نذر أن يصلي في مسجد كذا غير المساجد الثلاثة ليوف بنذره في أي مسجد شاء، ومن نذر أن يعتكف في غير المساجد الثلاثة فليوف بنذره في أي مسجد شاء.

إذن: هذا الحديث محمول عند العلماء جمعًا بينه وبين الأحاديث الأخر على ما ذكرت لكم، على الاعتكاف المنذور المعين صفة محله؛ **أي:** صفته، وهذا الذي فهمه ابن مسعود، فإنه قال: «لعلهم حفظوا ونسيت، أو علموا وجهلت» يعني: حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدلنا على أن لهذا الحديث فقهًا، وهذا الفقه هو الذي فهمه العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى، ولذا فإن الأئمة الأربعة: أبا حنيفة، ومالكًا، والشافعي، وأحمد كلهم في المشهور يرون أنه يجوز الاعتكاف في غير هذه المساجد الثلاث، لكن الأفضل الاعتكاف في المساجد الثلاث: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسجد الأقصى طهره الله عَزَّ وَجَلَّ من اليهود.

لأختم حديث اليوم بمسألة تتعلق بالاعتكاف بمسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكمل باقي أحاديث والمسائل المتعلقة بالاعتكاف غدًا بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ.

الاعتكاف بمسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما مر معنا له فضل، ومن فضله الاستنان به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه قد اعتكف هنا، ومن فضله أن الصلاة فيه مضاعفة، وبناء على ذلك فإن الاعتكاف الأجر فيه يكون مضاعفا؛ لأننا نرى أن المضاعفة إنما هي للصلاة والاعتكاف ملحق بالصلاة؛ لأن له أجر المصلي، فيكون فيه مضاعفًا كذلك.

ومن فضل الاعتكاف في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه مسجد عتيق، ولذلك فإن المسجد العتيق أفضل من غيره، وقد ثبت عند أبي نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يجاوز مسجد حيه إلى مسجد بعيد فيصلي فيه، قال: «لأنه العتيق»، وكذلك مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه أول مسجد للمسلمين بعد المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ولذلك قال بعض أهل العلم وهو إحدى الروايتين في مذهب أحمد أن أفضل المساجد اعتكافًا هو مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إن الاعتكاف فيه أفضل من الاعتكاف في المسجد الحرام، وقيل -وهي الرواية الثانية وعليها المتأخرون- أن الاعتكاف في المسجد الحرام أفضل، يليه الاعتكاف في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الخلاف مراعاته تدلنا على فضل الاعتكاف في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذا أيها الموفق؛ بما أن الله عَزَّ وَجَلَّ أنعم عليك بإدراك الزمان والمكان -الزمان: العشر الأواخر، المكان: مسجد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإدراك هذه البقعة المباركة حيث كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجاور، وحيث كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي ويقوم، فتمشي حيث مشى، وتصلي حيث صلى، وتدعو حيث دعا، فادع بما دعا، وأفعل بما فعل، واستن به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنك حينئذ يكمن لك الأجر، وإنك المغبون حقيقة إن فوت ذلك.

ولذلك فاحرص -أيها الموفق- على استغلاله، واعتن باعتكافك أن تحفظ لسانك وأفعالك، وسنتكلم بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ عن باقي الأحكام غدًا.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمن علينا بالهدى والتقى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يمن علينا بالصلاة والصيام والقيام وإتمام شهر رمضان، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرحم ضعفنا، وأن يجبر كسرنا، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرفع درجاتنا في جنات النعيم، وأن ينعم علينا بمصاحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن يصلح ولاة أمورنا وسائر ولاة أمور المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [٢].

---

(٢) نهاية المجلس الثاني.